

في بلاد أسحر والجمال

على قديم الألب

ترجمة أحمد فني مرسى

وفي الجنوب حيث
تقوم جبال الألب سداً
منيعاً بين السماء والأرض
وقد جللت الثلوج
رؤوسها بلونها الشف،
وبربقها الغرار، يقصد
محبو الرياضة والمخاطرة،
فيتساقون شفاف النلال،

ورؤوس الجبال، ممرضين حياتهم لدهام الخطر،
وفاجيء الهلاك

وسأقص عليك في هذه السطور، قصة ممتعة،
لبعض هؤلاء الذين دفعتهم نشوة المغامرة، وحفزهم
حب الاستطلاع إلى كشف قيم الألب، والوصول
إلى ذروتها، على الرغم مما تخفى من حتوف،
ما وتكن من مهالك:

كان الشتاء ذلك العام، شديد الزمهرير، قارس
البرد، وكانت الجبال ملففة بشغوف من الجليد مؤزرة

يصف بعض كتاب الغرب سويسرا بأنها
« مستراد الغرب وماعيه » يؤمها الغربيون رغبة في
التروح والنطاق، وحباً في التجول والتساق، وميلاً
إلى اجتلاء الحسن وترشف الجمال

ففي الشمال حيث تنبسط السهول المخضرة،
وتمتد الرياض الأريجة، وقد أزرعتها الطبيعة بمطرفها
الأخضر، وطرزتها بكفها الصناع، باجاً ناشدو
السكنينة، وعاشقوا الجمال، فيقضون فصل الربيع،
مسرحين الطرف في جنبات المروج المنضرة،
متمعين النظر بسحر الطبيعة وروعة الكون

أقسمت ألا أسلم يدي إلى سواك، ولكنك إن
تسلم هذه اليد، فكل شيء يفصاني عنك حتى
إرادتك. فما أئذى أنخرط في سلك الرهينة لأبر
بقسم أقسمته أمام الله في الحديقة بين ذراعيك
وأقسمته أيضاً وأنت تخنق زفراتك، وتقضى على
كرامة نفسك

« اليوم أنشج السواد، وأسدل على وجهي
النقاب. وهذا الكتاب هو آخر فكر أوجهه
إلى هذه الحياة، وحتى تطلع عليه تكون حبيبتيك
مرغربت دي بارسلان قد ماتت عن هذا العالم
لتحيا بالله ... »
الراهبة إيناس

(ف. ف.)

(٥)

ولم يقف فلويدور ليسمع تنمة الحديث بل
اندفع راكضاً نحو مسكنه الحقير وهو يقول في
نفسه: أواه، لقد نجحت في تمثيلي، وهذه
الحبيبة تتزوج اليوم بشريف من طبقة أهلها.
ويلاه من ظلم الأقدار!

وما آوى إلى غرفته حتى رأى على الخوان
غلافاً باسمه، فافتض ختمه وقرأ ما يأتي:

« بالرغم من محاولاتك اقتلاع حبك من قلبي
لم يزل شخصك نصب عيني، فإن أنظر إلى غيرك
حتى يواريني رمسى. ما فاني الجهد الذي بذلته
لأرضاء والدي، فقد كنت أقرأ في قلبك حقيقة
نفسك وأنت تسدل عليها ستار تمثيلك. ولهذا

هائلة تنحدر من ذروة الجبل إلى قوارة السهل — ولكن ما هي تلك الثلجة ... ؟ ... الثلجة هي مجرى من الثلوج اللافقة المتحدرة من قمم الجبال إلى الهوى والوهاد ، وتنشأ عادة من أن الثلوج لا تنهض بما يشغل منها من الثلوج الجديدة المتراكمة ، فيدركها الهيار وتهبط إلى السهل جياشة يدفع بعضها بعضاً ...

وسطح الثلجة مفر خداع ، فهي تبدو هادئة وادعة ، حتى إذا وطئها الإنسان دون درب أو خربة سقط في هوة من تلك الهوى السحيقة التي يخفيها سطح الثلجة الفرار

وقد يقال البعض ... « ولكن لماذا يقدم الإنسان على اختراق الثلجة ، ويرمي بنفسه في الهاكة » ... والجواب على ذلك « أن عواصف الثلج تنشر عادة على صفحة الثلجة طبقة شفافة رقيقة من الجليد ، فتبدو لمن يراها مستوية ، متباعدة ممهدة ، حتى إذا وطئها القدم لم تنهض بها ، وهوى الإنسان إلى قوارة الهوة

والثلجات من تلك المناظر البهيجة التي تقع عليها نواظر رائدى الألب ، فهي في برقة الرفق ، ولونها الأزرق الصافي من أروع ما تقع عليه العيون ... فإذا أشرقت الشمس ، ونفضت عليها رميضاً من شعاعها اللطيف ، تجملت لديها أبهى الألوان ، وتلافت عليها أروع المشاهد

وعلى حفاف الثلجة يرى الناظر ، إذا سرح الطرف ونصى النظر « مناضد الثلج » Glacier tables قد انتشرت في جنبات المكان ... وهي قطع من الصخور الرقيقة المتناثرة التي تجملت تحتها الثلوج فرفعتها عن الأرض ، وكانت لها بمثابة قوائم ترتكز عليها كما ترتكز المنضدة ...

يبرود من الثلج ، عند ما خرجت الجماعة ، وكانت مكونة من خمسة رجال — كاشفين وثلاثة أدلاء — إذ لابد للمتسلق من دليل يهديه بين مسالك الصخور لأن من الهلاك المحقق أن يخطئ بين تلك الجبال خبط عشواء دون أن يعرف شعابها ويخبر دروبها وكان كل منهم مزوداً بفأس صغيرة لتحطيم ما يعترض سبيلهم من الثلوج الغزيرة والصخور



غروب الشمس على ثلوج سان موريتز

الناتئة التي قد تموقعهم عن مواصلة التسلق وكان الأدلاء يحملون على ظهورهم حقائب من الصوف « rucksack » مملؤة بما خفف حمله من طعام وشراب ، هذا عدا جبل متين النسيج ، يشدون به بعضهم إلى بعض في مواقع الأخطار

أخذ السفر يتحرك وتبدل الخطى ، ثابت القدم فلا أوغل في المسالك حتى اعترضت سبيله ثلجة

بعض ، وساروا يتبعون الدليل في رهبة وثؤدة
وأفصح الفجر ، فجلى لهم الطريق ، وبدأت
أمامهم قصة ناجية دقيقة الذروة لا بد من عبورها ،
تقع في جانبها الآخر هرة سحيقة ، وكانت القمة عالية
ضيقة لا يتسع صدرها لأكثر من اثنين ، إذا زلت
قدم ، فالله أعلم بالمصير
وهنا يبدو ذكاء الدليل ومراعاة ، فهو دائماً
ثابت القدم رابط الجأش في مواقع الأخطار . لأنه



الغابات تغطي سفوح الألب السفلى

من الهلاك للإنسان أن يحفل أو يرجف ، أو يسير
مشترك الخاطر ، موزع اللب ...
وتقدم الدليل وفأسه في عناءه ، يشق بها
طريقاً إلى أعلى المرتقى ، والآخرون في أثره يزحفون
وقد عقل الحرف ألسنتهم وغشى الرعب قلوبهم ،
فأخذوا يتشبثون بالحبل كلما علفت أبصارهم قرارة
الهوة ... وأخيراً بلغوا الجانب الآخر بعد لأي

ونمود الآن إلى جماعتنا وقد اعترضت التلاحة
سبيلهم ، فطفقوا بدورون حول ضفافها في
حيطة وحذر ، حتى اجتازوها بسلام ، فإذا هم في
ضيق منبسط ، وإذا بالدليل يشير إلى شيء أسود
قائم على مدى البصر ، فرفع الجميع نواظرهم ليثبتوا
به معرفته ، فإذا به كوخ صغير قائم على سفح
الجليل ... ولكن أى كوخ هذا ؟ ... أقيم هنا
إنسان ؟ ... كلا ، فهذا الكوخ ليس في حيازة
أحد ، بل أفارته الحكومة ليتحرز به المتساقون ،
من عوادي البرد ، وظلمة الليل ، ووعناء السفر
وكانت الشمس الغاربة تطوى مطارفها الزاهية
عن الكون ، عندما بلغ أصحابنا الكوخ ، وقد
أضناهم النعيب ، ونال منهم النصب ، وبلغ بهم
الجوع مبلغاً جماهم يتبعون الظلم التهاماً ... ثم
أخذ الليل يلف الكون في مسوحه السود فاضطجع
كل منهم في ركن من أركان الكوخ وراحوا
في سبات عميق

ونيقظ الجميع بعد الواحدة بقليل على صوت
الدليل ، وكانت السماء صافية الأديم مسفرة
الوجه ، تسطع في جنباتها النجوم الراقية ، وتحقق
في حواشيتها الأضواء الراقية ، التي تتمكن على
الجليد قييد كالزجاج الرائق المذوّب ، وكانت
نسبات الألب العاطرة الهفافة تملأ الصدور وتنفتح
الجنوم عندما ابتعدوا عن الكوخ ، وراحوا
يتابعون التساق بين الحيطة والحذر ، فقد بدأت
أخطار الطريق تبدو جلية ، فتكشفت الثلوج ،
وبدت الهوى السحيقة وعاد الجليد ينهار تحت
أقدامهم ؛ فابتدروا الحبل وشدوا به بعضهم إلى

ومرت لحظة رهيبية اختفى الجسر بعدها عن
النواظر ، يحمل الرجلين في طوابعه ولم يبق إلا الحبل
بضطرب في أيدي الآخرين اضطراب الأرضية في
البئر البعيدة الغور . ترى أينقطع الحبل وينقضى
الأمر فيضم الألب ضحيتين جديدتين الى سجل ضحاياها ؟
ويمضي الآخرون دون هدى أو غاية ، حتى ليقنطهم
الجوع ويصرعهم البرد

ونجاة تقل عليهم الحبل فأدركوا أن
زميلهم ما زال معلقين بطرفه الآخر ، فأنجلى
اليأس عن قلوبهم ، ودب فيها الأمل ، فأخذوا
يجذبون الحبل في هدأة وصمت وبعد
لحظات ظهرت رأس أحد الرجلين وهو يحطم
بقأسه ما يموق الحبل من الجليد . وما بلغ حافة
الهوة حتى انبرى بعين زملاءه على اخراج الدليل
الذى ظهر بعد لحظة وعلى نفره ابتسامة هادئة ، وهو
يتمتم بكلمات الشكر

وجلسوا جميعا التماساً للراحة بعد هذا الجهد
البالغ ، ثم قاموا يبحثون عن جسر يعبرون عليه
الهوة ؛ وأخيراً عثروا بعد جهد جهيد على جسر
أشد تماسكا ، وأثبت بناء من الأول ، فتقدم
الدليل بحبزه في حذر ، حتى إذا تثبت منه تبعه
الجميع الى الضفة الأخرى من الهوة

وكان في الجانب الآخر مرتفع صخري ينحدر
إلى حافة التلاجة ، فكان لابد من ارتقاؤه ، فصعد
لدليل وهم في أثره ، إلى أن توقف فجأة متقصيا
النظر الى الأفق البعيد وقد عرى وجهه عبوس
وجوههم فتلفت الجميع إلى حيث ينظر ، فإذا بهم
يرون على مدى البصر ، ضبابا أبيض كاللدخان

وجهد ، فإذا بهم في منبسط من الثلوج يضم تلاجة
جياشة هائلة ، تقوم على ضفافها مرتفعات من
الجليد تنهار إلى التلاجة مرتفعاً بعد آخر فهم الآن
بين هلاكين . فالتلاجة عن يمينهم مأبجة مضبدة ،
والثلوج عن يسارهم منهار متساقطة ، فلا سبيل
إلى النجاة إلا بعد التلاجة ولكن أنى لهم ذلك ؟
تقدموا قليلا فإذا هم أمام هوة لا يدرك البصر
مداهها ، عليها جسر رقيق ضيق من الجليد ، فأسرع



من مناظر الألب الغربية

الدليل يتبعه أحد الرجال ، وكانت الفأس في يده
يمهد بها الجسر ، ويرسم بها مواقع الخطى ، وما
إن بلغ منتصف الجسر حتى بدت منه صيحة رعب
عالية ، فالتفتوا جميعاً فإذا الجسر ينهار تحت قدميه
ويتساقط إلى قرارة الهوة السحيقة

ولم يكن على الجسر في تلك اللحظة إلا الدليل
وزميله ، أما الباقون فقد ارتدوا إلى حافة الهوة
ممسكين بطرف الحبل

وكان الجميع يصعدون في ريث وحذر ، فان
زلة قدم واحدة تؤدي بهم جميعاً إلى الهلاك . وأخيراً
بعد لآلئ وعناء ، بلغوا نهاية الحائط فجلسوا يتناولون
طعامهم ... وامتنع احد الرجال عن الطعام ، لأنه
كان يحس بدوار شديد ، فقد ثقل عليه رأسه
وامتقع لونه ، وآلمته عيناه ، وتذلت زفراته ، وذلك
لخلخلة الهواء في الطبقات العليا من الجو ... ولكنه
على الرغم من ذلك لم يفكر قط في التأخر او العودة
وبعد الطعام بقليل قاموا يصلون السير ،
ويتابعون التساق ، فإنه لم يبق أمامهم إلا القليل
للوصول إلى قمم الألب ؛ فساروا يحثون الخطى بعزم
وجهد ، فمروا ببعض القمم ، واجتازوا بضعة
مرتفعات متقاربة

وكانت الشمس قد ارتفعت ، والنهار قد متع ،
فطرق سمعهم صوت متزن الجرس ، متسق النبرات ،
يعني « أغنية النصر » المروفة ، فالتفتوا جميعاً ،
فاذا بالدليل قد باع طلائع القمم ؟

(عن الانجليزية) أحمد فني مرسى

قصص اجتماعية

مترجم: بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

مجموعة من القصص الرفيع الشائق الثمانية من أعلام
الأدب الفرنسي م : بورجيه - كويه - أناتول فرانس .
موباسان - تيريه - مارسيل بریفو - دي بانفيل - جان
لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق .
في ثلاثمائة صفحة طبع دار الكتب

ثمنه ١٠ قروش وبيع مؤقلاً بـ ٦ قروش بخضم ٤٠٪
عدا البريد وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجة
ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب

يتقدم نحوهم في سرعة عجيبة ... فقال الدليل :

— إنها عاصفة ثلجية تحتاج الجبال ... فسأل
أحد الرجال :

— وهل تلبث طويلاً

— من يعلم ؟

وأرسل الدليل بصره يميناً وشمالاً ليتثبت
من موقعهم ووجهة سيرهم قبل أن تغشاهم العاصفة
وتضرب عليهم حجابها الكثيف فتحجب عنهم
الطريق وبعد لحظات كانوا يدرجون في
جوف العاصفة التي أحاطتهم جميعاً كتلا من الثلج
تتحرك ، وخامت عليهم أبراداً من الجليد ، لفهم
من قمة الرأس إلى اخمص القدمين

وقد دامت العاصفة برهة غير قصيرة ، هدأت
بعد ما ثورة الريح ، وتفتح ضباب الثلوج ، وأشرقت
أشعة الشمس ، فأخذوا ينفذون عن جسومهم
حائل الثلوج ، ويمسحون عن جبينهم ماءها البارد
وكانوا قد اجتازوا المرتفع وتزلوا في واد
منبسطة يلوح في نهايته ، حائط أملس من الثلج ،
لا تتلاق به كف ، ولا تتماسك عليه قدم ، يبلغ
ارتفاعه زهاء المائة متر

فوقفوا أمامه مشدوهين ، ومضت برهة قبل أن
يتبس أحدهم ببنت شفة ، كأنه يدور بخلاص ذلك
السؤال « كيف لنا أن نتلاق بذلك الحائط الأملس ؟ »
بعد برهة من الحيرة والتساؤل ، تقدم
الدليل فشد أوساطهم إلى الجبل ، وأخرج
فأسه ، وسار أمامهم إلى الحائط فأخذ يدرجه
بالفأس ، ويحفر فيه مواقع الأقدام ، ثم أخذ يصعد
رويدا رويدا ، وهم في أثره ، وكل بيده الفأس يشق
بها الطريق